



توم هانكس جنرال وكاتب سيناريو فيلم «غراي هاوند» استعراضات للبطولة في عرض البحر

الذي سبق وأن أنجز الموسيقى التصويرية للعديد من الأفلام زادت على الثلاثين فيلما، وهنا استخدم الموسيقى التصويرية المتسارعة والتوزيع الأوركستراي بشكل ناجح وأعاد هيبه وقوة وحضور موسيقى الملاحم والمواجهات الكبرى وحيث تكون الموسيقى هي الشاهد على جميع تلك التحولات.

توم هانكس

أما على صعيد الشخصيات فقد بدأ واضحا أن هذا الفيلم قد كتب خصيصا لصالح توم هانكس من أجل تعجيد قدراته وبطولاته الفريدة، أي إنه هو الذي كتبه لنفسه، ولهذا بدأ واضحا التسديد الذي منحته لنفسه أمام تضائل أو لنقل محدودية قدرات الآخرين، ولعل من أبسط ما بلغت النظر هو عدم وجود اسم كبير من وزن توم هانكس لكي يكون مكافئا له في هذه المواجهة سواء من جهة كونه خصما فعليا أو من جهة كونه ضمن فريقه ولكنه نذ له، كل ذلك لم يتم إعطاؤه أهمية تذكر الدرامي للفيلم، وأما من جهة توم هانكس، الممثل المخضرم وغزير الأعمال حيث إن رصيده يمتد منذ ثمانينيات القرن الماضي بما يزيد على أربعين فيلما، فإن تقييمه يتباين وجمهورية لا يتفق على جميع أدواره، فتمتد أدوار له بمجرد أن تنتهي من مشاهدة الفيلم سوف نتسناها وننسى دور هانكس فيها، لكنه في هذه المرة كرس البطولة الفردية والكاريزما والمظهر الحربي بما يصعب تجاهل حضوره مع أن دراما الفيلم ضمن فصيلة النوع الحربي - البحري لا تحمل استثناءات مهمة وذات تميز خاص رغم الجهود الكبير الذي بذل في إنتاج الفيلم.

والملاحظ في الفيلم هو التركيز على الوجوه الشابة تماما والتي لم يالها المشاهد من قبل بما فيه الكفاية وهم المساعدون المحيطون بالقبطان ومسؤول الرصد والرادار وغيرهم من الشخصيات التي بدت وكأنها في صيغة التلاميذ أمام أساتذهم وكل منهم يشعر بذلك ومطالب بأن يؤدي ما عليه وينصرف وصولا إلى لحظة الانتصار الجماعي.

ولأننا بصدد يوميات هذا القبطان الشجاع وفريقه فإننا نحتاج إلى التعرف عليه عن قرب أكثر، فليس كافيا أنه متدين ويردد كلمة أمين في كل وجبة طعام ولكن لا بد من تفاصيل أخرى تتعلق بجنود الشخصية وخلفياتها ولهذا لم يجد كاتب السيناريو سوى إحالتنا على بضعة مشاهد فلاش باك سوف يتم الزج بها في ذهن القبطان ومنها مثلا لقاءه الوحيد مع صديقته التي تدعو له بالنجاح في مهمته قبل انطلاقه لمهمة قيادة الأسطول ورفضها الالتحاق به وهو ما طلبه منها بشكل مباشر مع بداية الفيلم.

التفاضلي عنها. وإذا انتقلنا إلى البناء المكاني فالملاحظ أن الأحداث مجتمعة تقع في نطاق حيز مكاني رئيسي ألا وهو البارجة الحربية الأمريكية، التي يقودها القبطان، ومن خلفه قطع حربية أخرى تتبع له وتستند إلى أوامره، وكثير منها سوف يصاب من طرف الألمان ويغرق. الحاصل أن الأحداث الرئيسية تقع في نطاق ذلك الحيز المكاني وفي أجزائه ومنها جناح القبطان وكابينة القيادة وغرف الرصد والتتصت والسونار والرادار ومناطق الرمي، وهكذا صرنا نتنقل ما بين هذه الوحدات المكانيّة لا أكثر.



الفيلم كرس البطولة الفردية والكاريزما والمظهر الحربي لتوم هانكس بما يصعب تجاهل حضوره في البناء الدرامي

في المقابل تم إظهار الغواصات النازية والطوربيدات وهي تشق طريقها وسط البحار لكي تصيب أهدافها ثم لتصاب بواسطة الهجمات التي تشنها البحرية الأمريكية بقيادة القبطان. ولغرض الخروج على نمطية المكان الواحد كما ذكرنا لجا المخرج إلى أقصى استخدام القدرات التصويرية إلى أقصى حد ممكن لجهة القطع المونتاجي السريع واللقطات القريبة والزوايا المتنوعة التي جعل لها إيقاعا مرتبطا بما سوف تؤول إليه كل مواجهة من خلال تجزير الإيقاع السريع واللحظي، إذ في كل مرة كان القبطان في مواجهة كان الاشتغال على التنوع الصوري على أشده، بما في ذلك الوصول إلى حافة الهاوية في كل مرحلة من مراحل المواجهة ثم وقوع انفراج ما في موازاة ذلك كانت هنالك مهارة أخرى تتعلق بالصوت وخاصة الموسيقى التصويرية التي برع فيها بليك نيلي، وهو

سوني وتوزيع أبل في في بلاس وفريق عمل عالي الاحتراف، لا شك أنه تحد كبير. صنع السيناريو والمعالجة السينمائية بشكل يقارب شكل اليوميات، أي يوميات بارجة حربية وقائدها الذي هو قائد الأسطول في مواجهة الغواصات والبورج والطوربيدات النازية لكن على أساس العد الزمني التنازلي للتاريخ الذي سوف يتحقق فيه الدعم الجوي، وخلال ذلك وإلى حين الوصول إلى تلك المرحلة لا بد من حوض المحيط الأطلسي وصولا إلى بحر الشمال فالمواثي البريطانية.

على هذا شاهدنا أن في كل تحوّل زمني كانت هنالك مواجهة، وكانت هنالك غواصة تُكتشف أو طوربيد أو غير ذلك وغالبا ما كان القبطان كراوس وفريقه ومساعدوه يؤخذون على حين غرة حيث يكتشفون أن العدو يزحف أو يعوم من تحتهم أو بالقرب منهم من دون أن يشعروا وهنا تظهر مهارات كراوس في الانتفاة والمناورة والتفلسف من الإصابة وصولا إلى النجاة.

كانت كل مواجهة مفاجئة بمثابة حبكة ثانوية، أو هكذا أريد لها من أجل تصعيد الدراما فكلما حاول القبطان التقاط أنفاسه تمت المناداة عليه بوجود خطر محدد جديد وهكذا تتوالى تلك الانتقالات لكن في المقابل لم تكن تلك الانتقالات والمواجهات الجديدة مع سفن العدو وغواصاته لتكتسب شكل الحبكة الثانوية وقوتها، ولهذا وجد المخرج في إظهار التاريخ بشكل متتابع بين حين وآخر حلا مناسباً لكي لا يبقى الفيلم أسير حكايات مفقودة أو في أحسن الأحوال حكايات لا تمتلك من عناصر القوة والتأثير المباشر ما يصعد الدراما.

وكما ذكرنا من قبل فإن أسلوب اليوميات التي تسبق سيطرة الطيران كان هو الحل الأمثل في نظر المخرج لغرض تلافي الخلل الدرامي في البناء الدرامي ذلك أن المواجهة تظهر للمشاهد من طرف واحد ومن وجهة نظر واحدة وهي وجهة نظر القبطان وبالتالي وجهة نظر القيادة البحرية الأمريكية، بينما لا يظهر شخص من الطرف الآخر أي من الخصم النازي وتلك إشكالية أخرى ليس مبررا لماذا تم

بحري نازي حتى يقع في التالي، وفيما تكون مهمته معقدة للغاية، فهو يقود عدة سفن وبورج حربية ومئات الجنود وعليه أيضا تأمين طريق للسفن الحربية. كنا قد شاهدنا من قبل أفلاما كان البحر ميدانها وكانت الحرب العالمية الثانية موضوعها ومن ذلك فيلم حركة في شمال الأطلسي الذي يُعد من بواكير الأفلام التي عالجت ثيمة الصراع البحري إبان تلك الحرب، وأخرج المخرج الرائد رؤول والش بالإضافة إلى مخرجين آخرين وأنتج الفيلم بالأبيض والأسود في العام 1943، وكان من بطولة الممثل الشهير همفري بوغارت. ثم يأتي فيلم «رحلة البحر» وهو من إخراج أندرو مكلاغين وتمثيل نخبة من الممثلين غريغوري بيك وروجر مور وديفيد نيفين وأفلام أخرى عديدة. الأمر الذي يمكننا الانطلاق منه لعرض هذه الأمثلة الفيلمية وغيرها في ما يتعلق بخواص هذا النوع الفيلمي، والشكلية المتكررة في عرض الأحداث لجهة رصد سفن وبورج وغواصات الأعداء والمعارك البحرية وتفاخي طواقم البحار واستبسالهم، ثم ومن خلال ذلك تمجيد المبادرة الفردية وصولا إلى تقديم البطل الاستثنائي أو السوبر هيرو.

في هذا الفيلم يتجه الممثل توم هانكس إلى كتابة السيناريو وهو يعلم أن أمامه إرثا سينمائيا ضخما اشتغل على الثيمة نفسها مما يفرض عليه أن يحاول الخروج عن النمطية السائدة في الفيلم الحربي - البحري المعتاد، فهل نجح في ذلك؟

أسلوب اليوميات

لا شك أن التحدي الرئيسي كان تحدي الإخراج والكيفية التي بإمكان المخرج شنبايدر أن يخرج بها من فيلم ذي إنتاجية ضخمة تزيد على 50 مليون دولار ومن خلال ائتلاف من قرابة سبع شركات إنتاج عالمية في صدارتها

أعدت الكثير من الأفلام عن الحرب العالمية الثانية، أفلام تصور المواجهة بين متخاصمين وتنتهي بانتصار أحدهما، فتظهره في مظهر البطل المنتصر الإنساني. جل الأفلام عن هذه الحرب تتغير بتغير الأمكنة، فأفلام الحرب على الأرض مختلفة عن غيرها في السماء وبين الطائرات، وكذلك عن تلك التي تجري في عباب البحر بين الغواصات والسفن وطواقم كل منها. هذه الأخيرة تركز لشخصية القبطان القائد الذي يتبعه الجميع، والذي ينتهي إما بالانتصار وإما بالهزيمة.

يتوج الممثل توم هانكس بوصفه الجنرال إيرنست كراوس قائد الحملة البحرية والأسطول الأميركي، ويوصفه من جهة أخرى كاتب السيناريو ضمن تجربته السابعة في الكتابة للشاشة، مقابل أكثر من 40 فيلما ظهر فيها ممثلا منذ بداياته في مطلع الثمانينات.

ولعل السؤال الذي يطرح قبل المواجهة المرتقبة أننا إذا كنا على اليابسة أو في السماء سوف يظهر العدو أو الخصمان وهما يخوضان الصراع الذي ينتهي بموت أحدهما وانتصار الآخر، فماذا عن الصراع على سطح الماء؟ يستيقظ الجنرال وفي لحظة قريبة وهو داخل السفينة الحربية، لننقل معه في استنكار للماضي لملاقاة حبيبته قبل عام، اللقاء وبناء المشاهد لا جديد فيها بل هما عاديان تماما ولو افترضنا أنه تم حذفهما من الفيلم برمتيه فلن يؤثر في شيء سوى أن حبيبة الجنرال لا تمك غير الدعاء له وإهدائه خفين يلبسهما وقت الاستراحة، فيما هي ترفض الانضمام إليه وطلبها للزواج.

ما عدا ذلك فلا حياة اجتماعية للجنرال ولا تفهم من سيرته هو أنه ليس محظوظا في القرية وأنه إنسان مؤمن ويرد عبارات الإنجيل منذ الصباح ومع كل وجبة طعام.

الجنرال المتدين سوف يمضي الزمن الفيلمي وهو في حالة من الانشداد والقلق لأن الأحداث تتوالى ولا يستطيع التقاط أنفاسه فلا يكاد يخرج من فخ



تعود يوميات الحرب العالمية الثانية إلى السينما مجددا وكالمعتاد في قصص متوالية لا تريد أن تنتهي وفي كل مرة هنالك مقاربة مختلفة، وهنالك قصة تروى عن واقعة من وقائع تلك الحرب الكونية الدائمة.

وإذا كنا قد شاهدنا الكثير من تلك الوقائع على الأرض وفي السماء من خلال الجنود وسلاح الطيران، فإن البحر هو الآخر صار مسرحا مهما من مسارح تلك المواجهات القاتلة، وإذا عدنا قليلا بذكرياتنا إلى الوراء فكم شهدنا أفلاما جسدت الصراع على الأرض أو في السماء فكذلك هناك العديد من الأفلام التي صورت في عرض البحر.

في فيلم «غراي هاوند» للمخرج آرون شنبايدر والمأخوذ عن كتاب للمؤلف سي.أس فورستر تحت عنوان شيفرد الجيد، سوف

